وقال له ليكن خبرك فى كل يوم عندى وإذا التقيت عدوك فناجزك فناجزه ولا تؤخر فرصة ولما بلغ مخرجهم ابن زياد جهز بين يديه سريتين إحداهما مع ربيعة بن مخارق ثلاثة آلاف والأخرى مع عبد الله بن حملة ثلاثة آلاف وقال أيكم سبق فهو الأمير وإن سبقتما معا فالأمير عليكم أسنكما فسبق ربيعة بن مخارق إلى يزيد بن أنس فالتقيا فى طرف أرض الموصل مما يلي الكوفة فتواقفا هنالك ويزيد بن أنس مريض مدنف وهو مع ذلك يحرض قومه على الجهاد ويدور على الارباع وهو محمول مضنى وقال للناس إن هلكت فالامير على الناس عبد الله بن ضمرة الفزارى وهو رأس الميمنة وإن هلك فمسعر بن أبى مسعر رأس الميسرة وكان ورقاء بن خالد الاسدى على الخيل وهو وهؤلاء الثلاثة أمراء الارباع وكان ذلك فى يوم عرفة من سنة ست وستين عند إضاءة الصبح فاقتتلوا هم والشاميون قتالا شديدا واضطربت كل من الميمنتين والميسرتين ثم حمل ورقاء على الخيل فهزمها وفر الشاميون وقتل أميرهم ربيعة بن مخارق واحتاز جيش المختار ما فى معسكر الشاميين ورجع فرارهم فلقوا الأمير الآخر عبد الله بن حملة فقال ما خبركم فأخبروه فرجع بهم وسار بهم نحو يزيد بن أنس فانتهى إليهم عشاء فبات الناس متحاجزين فلما أصبحوا توافقوا على تعبئتهم وذلك يوم الأضحى من سنة ست وستين فاقتتلوا قتالا شديدا فهزم جيش المختار جيش الشاميين أيضا وقتلوا أميرهم عبد الله بن حملة واحتووا على ما فى معسكرهم واسروا منهم ثلاثمائة أسير فجاؤا بهم إلى يزيد بن أنس وهو على آخر رمق فأمر بضرب أعناقهم .

ومات يزيد بن أنس من يومه ذلك وصلى عليه خليفته ورقاء بن عامر ودفنه وسقط فى أيدى أصحابه وجعلوا يتسللون راجعين إلى الكوفة فقال لهم ورقاء يا قوم ماذا ترون إنه قد بلغنى أن ابن زياد قد أقبل فى ثمانين ألفا من الشام ولا أرى لكم بهم طاقة وقد هلك أميرنا وتفرق عنا طائفة من الجيش من أصحابنا فلو انصرفنا راجعين إلى بلادنا ونظهر أنا إنما انصرفنا حزنا منا على أميرنا لكان خيرا لنا من أن نلقاهم فيهزموننا ونرجع مغلوبين فاتفق رأى الأمراء على ذلك فرجعوا إلى الكوفة فلما بلغ خبرهم أهل الكوفة وأن يزيد بن أنس قد هلك أرجف أهل الكوفة بالمختار وقالوا قتل يزيد بن أنس فى المعركة وانهزم جيشه وعما قليل يقدم عليكم ابن زياد فيستأصلكم ويشتف خضراكم ثم تمالؤا على الخروج على المختار وقالوا هو كذاب واتفقوا على حربه وقتاله وإخراجه من بين أظهرهم واعتقدوا انه كذاب وقالوا قد قدم موالينا على أشرافنا وزعم أن ابن الحنفية قد أمره بالأخذ بثأر الحسين وهو لم يأمره بشىء وإنما هو متقول عليه وانتظروا بخروجهم عليه أن يخرج من

الكوفة إبراهيم بن الأشتر فأنه ؟ قد عينه المختار أن يخرج فى سبعة آلاف للقاء ابن زياد فلما خرج ابن الأشتر اجتمع اشراف الناس ممن كان فى جيش قتلة الحسين وغيرهم